تجارب من الارض المحتلة

بيت دقو ذات القمح الاصفر

عبد الجواد صالح

قرية بيت دقو ، قرية نموذجية فلسطينية جميلة ، تعتلي سلسلة من الجبال المحيطة بالقدس. مدخلها طريق ضيق يشق سهلين مرتفعين . يعتليان ظهر جبلين. تتخذ هذه الطريق خاصره جبل ثالث كانها شقت على ارجل سلم متدرج من الحبلات المزروعة بالدوالي واشجار الفاكهة يستمتع الراكب في السيارة بهذه المناظر ولكنه يخاف عندما ينظر الى الوادي عند قدمي السلم . وبعد مسيرة دقائق على هذه الطريق تصل الى هذه القرية التي بنيت على جبل تحيطه الاودية وكانها على جزيرة من اليابسة . باختصار انها قلعة حربية من صنع الطبيعة اختارها الفلاح الفلسطيني كجزء من حياته المتوارثة . والتي اصبحت جزءا من طبيعته المقاتلة من اجل صد الغزوات الطامعة في الوطن العربي . والتي تعتبر فلسطين مدخلا وقاعدة لتحقيق هذه المطامع .

تتحكم القرية بطريق اللطرون يافا من الشمال . ومن الجنوب تتحكم بالمستعمرات « الخمس » التي تقع على مدخل مدينة القدس . هذا الموقع الاستراتيجي جعل قرية بيت دقو مطمعا للطموح الصهيوني التوسعي .

اثناء انعقاد مجلس بلدية البيرة القريبة من قرية بيت دقو ، طرق باب المجلس مختار هذه القرية . رجل طويل ، نحيف الجسم ، وكأنه يعبر عن السبعين عاما العجاف التي عاشها وعاشتها فلسطين . موشحا بعباءة سوداء تغطي قمبازه الفضي المقلم . في الحقيقة يختلف الحاج « اسعد » عن معظم مخاتير القرية ، ليس في جسمه النحيف فحسب ، وليس في حديثه العامي الذي يخرجه باطار من اللغة الفصحى ولكنه يختلف عنهم في مسلكه وتعففه وارتباطه بقضايا جماهيره بالاضافة الى مواقفه من الحكم العسكري الصهيوني ورجالاته .

لقد اصبح بيني وبين الحاج اسعد علاقة وطيدة بعد ان قمت بحل مشكلة كانت شبه مستعصية في تلك القرية . وانقسمت القرية على هذه المشكلة الى قسمين ــ الحارة « التحتا » ومعظمهم من الفقراء الكادحين والحارة « الفوقا » وتضم اغنياء القرية ومعظم ملاكيها . وكانت المشكلة حول ملكية قطعة ارض مشاع تتوسط القرية وبالذات ضمن حدود الحارة « التحتا » . لقد سقط قتيلان وجرح العشرات من الرجال والنساء والاطفال من جراء النزاعات التي امتدت